تساؤلات معاصرة

تأسست عام ١٤٢٧ هجرية

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار السيدة رقية للقرآن الكريم

اسم الكتاب: ..... تساؤلات معاصرة

تأليف: .....الشيخ عبدالجليل أحمد المكراني

الإخراج الفني: .....عباس الجعفري

الناشر: ..... دار السيدة رقية عليها السلام للقرآن الكريم

الطبعة الأولى: ..... ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ قم المقدسة

Email: info@ruqayah.net

تساؤلات معاصرة

بقلم:
الشيخ عبدالجليل أحمد المكراني

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الهداة الميامين.

عزيزي القارئ، إنّ هذه (**تساؤلات معاصرة**) عبارة عن إجابات لمجموعة من الأسئلة التي وجهها الشباب المغتربون في أمريكا وأوروبا وغيرهما من البلاد الغربية.

والأسئلة المقدّمة تنبئ عن مشاكل وهموم واقعية يعيشها الشباب المسلم المغترب، وبعضها يشير إلى إشكالات غريبة اتجاه الدين والشريعة الإسلامية، ويمثّل جزء منها صعوبة تكيّف الشاب المسلم مع البيئة في دار الهجرة مع الالتزام والاحتفاظ بمبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية.

وحاولنا في الإجابة عنها أن نعطي حلولاً وأجوبة مقنعة بلغة مبسطة ووافية مستلهمين ذلك من الكتاب العزيز والسنّة النبوية المطهرة وأقوال الأئمّة عليهم السلام، فجاءت على هذا الشكل.

التساؤل الأول

أ. ما هو دليل التقليد من جهة عقلية؟

ب . يعيش المكلفون في أماكن مختلفة في العالم كالغرب مثلا، وحياتهم تختلف عن حياة مراجع الدين الذين يسكنون غالبا في النجف الأشرف أو قم المقدسة وليس لديهم اطلاع كامل على تفاصيل حياة الناس في تلك البلدان، فهل تقليد مثل هؤلاء الناس إياهم صحيح في مثل هذه الحالات؟

الجواب: يبتني التقليد على أساس عقلي، وهو الارتكاز العقلائي العامّ في كلّ ما يحتاج إليه الإنسان في حياته المتمثّل في رجوع الجاهل إلى العالم في جميع قضاياه الحياتية والمشاكل التي تواجهه.

فالإنسان يعيش حالة التقليد والاتباع لصاحب الخبرة والمعرفة، وهذا ما نلاحظه ونشاهده في كلّ فروع المعرفة والاختصاصات في دنيا الإنسان، فالمريض يرجع إلى الطبيب، والذي يريد لوحة فنّية جميلة يذهب إلى الرسام، والذي يطمح ببناءً بيت جديد متطوّر لابدّ له من مراجعة المهندس المعماري المختص بذلك، وهذا معناه التقليد والاتباع

لصاحب الخبرة والمعرفة. والمعيار في هذه الحالات يتمثّل بشيئين:

الأول: لابدّ للجاهل من مراجعة العالم وذي الاختصاص؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فغير العالم لا يحلّ محلّه.

الثاني: أنّ التقليد في القضايا الدينية والشرعية هو من هذا القبيل، وهي الطريقة العقلائية والبشرية المعتادة، وليس بين رجوع المكلّف للفقيه والمجتهد وبين رجوع المريض للطبيب أيّ فرق.

الإحاطة بالتخصص والموضوع

ولابدّ لكلّ مختص بفرع من فروع العلم والمعرفة أن يكون محيطاً وملمّاً بدراسة موضوع ذلك العلم ومستقصياً كلّ حالاته وأسبابه وآثاره وظروفه؛ ليكون رأيه وحكمه في ذلك الموضوع وطريقة استنباطه لذلك الحكم والتشخيص له مبرراته العلمية والعملية والفنّية، ومنسجماً مع الموازين الصحيحة.

فلو كان في العالم اليوم عالم في حقل من حقول العلم والمعرفة ـ كالطبيب أو عالم الفيزياء ـ وكان حاذقاً وعبقرياً في اختصاصه، لكنّه يعاني من مشكلة تعيقه في التواصل مع اختصاصه ومتطلبات ذلك الاختصاص، وتلك المشكلة كونه لا يتواصل مع الاكتشافات والإنجازات العلمية الجديدة في هذا الميدان، فإنّ هذا العالم رغم كونه عارفاً إلا أنّه سيكون محل شكّ وريبة عند الناس، وخاصّة عند ذوي العلم والمعرفة والاطلاع،

فلا ينال ـ لأجل ذلك ـ الدرجة العلمية الممتازة. لكنّه إذا كان متواصلاً مع أحدث التطوّرات والاكتشافات في مورد اختصاصه، فإنّه سيصبح مرجعاً للآخرين من الباحثين والمهتمّين بذلك العلم، ولا يضرّه أن يكون في لندن أو أمريكا أو في بلد من بلدان الشرق الأوسط، وسينال مرتبته العلمية اللائقة به.

والمرجع والفقيه الديني بما أنّه مختصّ بالشؤون الدينية والشرعية فلابدّ له أن يمارس عمله الفقهي والاستنباطي وفق الضوابط والمعايير العلمية والشرعية المعتبرة في استنباط الأحكام الشرعية من المفاهيم الدينية بشكل عام.

ومن أهمّ وظائف الفقيه الدينية الفكرية إعطاء رؤية فكرية علمية عامّة عن الدين الإسلامي وفق ما يتوصّل إليه بعد مراجعة الكتاب والسنّة. ولا يضرّ ذلك بعده المكاني عن المقلّد والمكلّف في بيان الحكم الشرعي وتوضيحه؛ لأنّ إصدار الحكم وبيانه الشرعي لا يتوقّف على معاينة أو مشاهدة الموضوع الخارجي، بل المناط هو تصوّر الموضوع الذي يراد بيان الحكم الشرعي فيه، ومن ثم إصدار الحكم استنباطاً من الأدلة الشرعية.

على أنّ المرجع والفقيه ليس من وظائفه تحديد الموضوع الخارجي؛ فإنّ هذا من وظائف المكلّف وواجباته، وتشخيصه يقع على عاتقه، وأمّا

الفقيه فإنّه يتحمّل بيان الحكم الشرعي وتشخيصه طبق النصوص الشرعية. فالفقيه يفتي برسالته العملية بحرمة الصوم الضرري ـ مثلاً ـ كما إذا كان المريض يعاني من وعكة صحية في المعدة أو أي عضو آخر، لكنّ تشخيص الضرر يقع على المكلّف، وبسببه إمّا أن يثبت وجوب الصوم أو عدم وجوبه في ذمته.

على أنّنا في الوقت الحاضر نعيش ثورة التواصل والاتصالات العالمية الكبرى في عالم الإلكترونيات والرقميات، وقد تحوّل العالم الكبير بسببها إلى قرية صغيرة كما يقولون.

بل أصبح العالم بأجمعه تحت تسلّط الإنسان في أي مكان يتواجد فيه، فيستطيع أي إنسان في أية دولة أن يحيط بأخبار العالم والدول والمجتمعات والشعوب الأخرى من خلال شبكة الإنترنت والموبايل وغيرهما.

وعليه فالبعد أو القرب المكاني لا يلعب دوراً هاماً أو فاصلاً في عملية استنباط الحكم الشرعي بالنسبة إلى الفقيه الذي يعيش في النجف الأشرف أو قم المقدسة أو في أي بلد من بلاد العالم.

نعم، يبقى شيء مهمّ، وهو أنّ المكلّف يجب عليه أن يقلّد المرجع والفقيه الذي تنطبق عليه الموازين والشروط المتعارفة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والتي تؤهله لاعتلاء منصب الإفتاء وإصدار الأحكام الشرعية، فبقدر عظمة المسؤولية التي أناطتها الشريعة المقدّسة بالعلماء شدّدت عليهم وتوقّعت منهم سلوكاً عامراً بالتقوى والإيمان والنزاهة؛

نقياً من كل ألوان الاستغلال للعلم، يقول إمامنا العسكري عليه السلام: «فأمّا مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوامِّ أن يقلّدوه»[١].

ومن تلك الشرائط التي ينبغي توفرها في شخصية الفقيه والمرجع معرفته وإحاطته بأحوال العصر ومتطلباته والظروف الإنسانية والاجتماعية العامّة في زمانه، والاطلاع الواسع على الثقافة الإنسانية والفكرية المعاصرة وما توصّلت إليه الإنسانية من علوم ومعارف وأفكار، ممّا يؤهله لتكوين رؤية فقهية ودينية شاملة حول ما يجري حوله.

فالفقيه والمرجع في وقتنا الآن هو لكلّ العالم وليس للبلد الذي يعيش فيه، وهذا هو الفقيه في ظل تعاليم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «... العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[٢].

(١) وسائل الشيعة ٢٢: ١٣١، باب عدم جواز تقليد غير المعصوم، ح ٢٠.
(٢) الكافي ١: ٢٧/ كتاب العقل والجهاد.

التساؤل الثاني

إن الدين والمذهب هو سبب الاختلاف والصراع الدائر منذ القدم إلى الآن، والجرائم بأنواعها من القتل والإرهاب والدمار لها دوافعها وأسبابها الدينية والمذهبية، ومع هذا ما هو الداعي لإبراز التمسك والالتزام بالدين في حياة الإنسان؟

الجواب: أنّ الإرهاب والعنف والقتل من الظواهر التي يمتاز بها هذا العصر عن سائر الأعصار مع ظواهر اجتماعية وإنسانية أخرى. ولا شكّ أنّ ظاهرتي الإرهاب والعنف اللتين نلاحظ انتشارهما في هذا الوقت لهما مصادر ومناشئ مختلفة، كما أنّ الإرهاب لا يرتكز على إيديولوجية واحدة، بل له عقائد ومبانٍ متباينة.

والقول بأنّ الدين هو مصدر الإرهاب والقتل والصراعات الدموية في العصر الحاضر ما هو إلا تسطيح وتجويف لواقع المشكلة الإنسانية المعاصرة؛ لأنّ الإرهاب الآن ليس من نوع واحد؛ فهناك إرهاب الدول الكبرى المستعمرة للعالم والمسيطرة على مصالح الشعوب ومقدراتها، والتي تدير مقاليد الأمم والشعوب من خلال السياسة والاقتصاد والاتصالات

الفتاكة وسائر الشؤون الإنسانية الأخرى التي تجعل كل مصالح وعوائد الشعوب بيدها.

وإنّ من أوضح صور الإرهاب ما تمارسه الدول الكبرى من احتلال للبلدان والتدخّل المباشر بشؤونها، وممارسة النهب والسلب للثروات. هذا بالإضافة إلى إرهاب الجماعات المسلحة المنتشرة في العالم.

ولا ننكر بأنّ واحداً من أهمّ المصادر المغذّية للإرهاب والقتل والحروب على طول التاريخ هو العقيدة الدينية والانتماء المذهبي. فالاحتراب من أجل الدين والعقيدة الدينية هو من أكبر المنتجات للصراعات والخلافات البشرية على مرّ التاريخ. وإذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنّ الإرهاب بدأ مبكراً في الحياة الإنسانية والبشرية، فقد قتل قابيلُ هابيلَ أخاه وكانا قد قدما قرباناً إلى الله جلّ وعلا، فتقبّل من أحدهما قربانه بينما ردّ الآخر؛ لأنّه لم يكن بمستوى العبودية والتقرّب لله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إنما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا**

أَعَجَزْتُ أن أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[١].

وبعد ذلك يتحدّث القرآن عن تشريع إلهي جديد يعطي مسألة الجريمة والإرهاب حجمها الطبيعي والواقعي، واعتبارها انتهاكاً لحياة المجتمع البشري بأسره وإن كان المستهدف بالقتل نفساً واحدة؛ لأنّ قيمة النفس الواحدة عند الله تعالى كقيمة المجتمع البشري كلّه، فالمجتمع إنّما يتألف من الأفراد والأشخاص، قال تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أن كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾[٢].

وعندما نرجع إلى الآيات المتقدمة نجد أنّ العامل الديني والعقيدة هما اللذان منعا هابيل من ممارسة الإرهاب والقتل والجريمة؛ بينما على العكس من ذلك نجد أنّ أخاه قد دعته أهواؤه وخطاياه النفسية والروحية لاقتراف تلك الجريمة؛ بعيداً عن نداء الضمير وتعاليم السماء والدين.

وإذا ما كان الدين في مجتمع أو أمّة ما مصدراً للقتل والإرهاب، فإنّ

(١) المائدة: ٢٧ـ ٣١.

(٢) المائدة: ٣٢.

العيب والإشكال ليس في الدين نفسه، بل إنّ أولئك الذين يعون التديّن هم الذين يشوّهون صورة الدين ويمارسون القتل والإرهاب باسم الدين، حتى اصطلح عند الغربيين جرّاء مثل هذه الممارسات بـ(إسلام فوبيا).

فتحوّلت فكرة الإرهاب والقتل التي تمارسها جماعات القاعدة وغيرها ـ باسم الإسلام ـ من ظاهرة عملية وحسيّة إلى ظاهرة فكرية تشكّل نمطاً في العقل الغربي والأمريكي عن الإسلام والمسلمين. وهناك مَن يوعز السبب في ذلك إلى تطرّف المسلمين، كما أنّ هناك مَن يشير إلى مسؤولية الدول الكبرى فيه، بينما يُرجع آخرون سبب ذلك إلى مسؤولية المسلمين والدول الكبرى معاً. وهناك مَن يقول بأنّ هذه النظرة والتوتر هو أمر عارض.

وعلى كلّ حال فإنّ جمهور الغرب يرى أنّ سبب العلاقة السلبية بين الغرب والمسلمين هي عدم وجود التسامح عند المسلمين، بل يغلب عليهم العنف والتعصّب والغلظة، وأنّهم لا يتكيّفون مع المجتمع الحديث، ومع هذا يصفون المسلمين بالكرم والنزاهة.

فما هو سبب هذه النظرة السلبية (إسلام فوبيا)؟

من الواضح أنّ هذه النظرة السلبية لم تكن نتيجة أحداث (١١ أيلول/سبتمبر)، وإنّ كانت هذه النظرة موجودة قبل ذلك؛ حسب الاستطلاعات التي تمّت في بداية التسعينات، نظراً لأحداث الجزائر التي انعكست على الرأي الفرنسي، ونتيجةً لما كتبه المستشرقون عن الدين

الإسلامي، حيث ركّزوا على الفقه الإسلامي المتعلّق بالحروب وبعض آيات القرآن المنقطعة عن سياقها ومقابلتها برسالة الإنجيل السلمية على حدٍّ زعمهم، وكلّ هذا قد صاحبه عدم الردّ من قبل المسلمين على هذه الشبهات أو عدم وصول الردّ إلى العالم الغربي. ثم جاءت حركات الإسلام الأموي، وهو إسلام التكفير والإرهاب والقتل العشوائي الذي هو ليس من حقيقة الدين، كلّ هذا ساهم بشكل مدروس في تضليل الرأي الغربي العام وتشويه صورة الإسلام وإلباسه لباس التطرّف ورفض التعايش ونكران الحياة.

وكان لتلك الخطوة الخبيثة النجاح الكبير في تمرير السياسة المعادية للإسلام وإنجاحها في المجتمعات الغربية، فقد رحّب رجال السياسة بذلك؛ حيث كانوا يحتاجون إلى صرف نظر شعوبهم عن التناقضات الداخلية الموجودة عندهم إلى العدو الخارجي، واكتساب الشرعية السياسية في معركة الغرب المتحضّر ضدّ الإسلام.

وكمثال على ترسيخ هذه النظرة نشوء حزب (ليفبارينديرلاند) الذي سمّي فيما بعد بحزب (بيم فورتوين) سنة ٢٠٠٢ م في هولندا، ويعتبر هذا الحزب الإسلامَ هو العدوّ الأساسي للحضارة الأوروبية، ويطرح فكرة حرمان المسلمين من الحقوق الفردية وطرد المستطاع منهم من البلاد، وإغلاق الباب إمام أيّة هجرة إسلامية جديدة، وفرض المراقبة الشديدة

على المساجد. وقيادة هذا الحزب تحتوي على عدد من اللواطين المعلنين، ومن مخرجي وممثلات الأفلام الإباحية، ومن المرتدين عن الإسلام[١].

وانتهج الحزب اليميني المتطرّف الدانماركي الممثّل في حزب الشعب المسار نفسه تجاه الإسلام والمسلمين، وهو اليوم مشارك في الحكومة الائتلافية اليمينية الراهنة[٢].

وهكذا بعض التجمعات المسيحية التي تبالغ في الدفاع عن هوية أوروبا المسيحية عن قيم الحضارة الغربية الحديثة بوجه التحدّي الإسلامي.

وهذه النظرة السلبيّة تزداد كلّما طالت أحداث التفجير والعنف والاغتيال العواصمَ الأوروبية، كتفجيرات لندن ومادريد[٣].

وهكذا ساهمت هذه الحركات بإيهام الرأي بصحة النظرية التي تبنّتها الولايات الأمريكة المتحدة، وهي نظرية صراع الحضارات والصدام الحضاري الذي أطلقها (هنتغتون).

الغرب العلماني والإرهاب

رغم ادعاء الغرب بأنّ فكره يتّسم بالموضوعية والتحليل التاريخي والثقافي للحدث، إلا أنّه لم يستطع أن يتجرّد عن ماضيه الثقافي

(١) بحوث فقهية معاصرة (حسن الجواهري) ٦: ٢٠٣.

(٢) بحوث فقهية معاصرة (حسن الجواهري) ٦: ٢٠٣.

(٣) بحوث فقهية معاصرة (حسن الجواهري) ٦: ٢٠٣.

والفكري والاجتماعي وترسابته المظلمة.

فالغرب الذي تجرّد عن الدين ـ بعد إن كان الدين بفضل الكنيسة مصدراً لتقسيم المجتمع ونقض وحدته الإنسانية ـ حاول تسرية هذه القضية إلى الدين الإسلامي الحنيف، والترويج لفكرة أنّ حضور الإسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية في الدول الإسلامية هو السبب لما تقوم به المجموعات الإرهابية المتطرفة من إبادة جماعية لبعض الجماعات الإسلامية، ويدعو الأمّة والشعوب الإسلامية إلى التخلّي عن الدين واللجوء إلى العلمانية كمنهج للحياة والسعادة البشرية المنشودة.

وليس من الغريب أن تجد العلمانية مكانها في الغرب، فقد فرضت ذلك ظروفهم؛ نتيجة تسلّط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة، ووقوفها في وجه كلّ تفتح فكري أو كشف علمي، حتى تجاوز حجرها على العقول إلى الحجر على القلوب، وذلك حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام.

وغرقت أوروبا في دماء ضحايا الكنيسة، فسقط المئات ـ بل الآلاف ـ تحت مقاصل المحاكم ومشانقها، وغيب الكثيرون في غياهب السجون. وإذا كانت سُنّة الله في الكون أنّ لكلّ فعل ردّ فعل فلقد وقع صراع العلم مع الكنيسة، وانتهى بإعلان العلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة،

وتقلّص سلطان الكنيسة داخل جدرانها.

وفضلاً عن أنّ ظروف أوروبا التاريخية كانت تبرر انتشار العلمانية وفصل الدين عن الدولة، فلقد كانت ظروف الديانة المسيحية ـ بعد ما أدخل عليها التحريف بفضل أصابع اليهود ـ تسمح كذلك بوجود علمانية إلى جانب الدين. وليس ذلك غريباً بعد كون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة.

وليس غريباً أن نسمع بعد ذلك عن أنّ الدين الذي حبس داخل جدران الكنيسة قد جرى فيه التطوير حتى صارت الصلاة تؤدّى على أنغام الموسيقى، ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة والألحان الدافئة، كلّ ذلك بمرأى ومسمع من رجال الدين، بل وتحت رعايتهم وتوجيههم. ومع كل هذا الوضع الديني الهزيل كانت أوروبا قد بلغت في التقدّم العلمي التكنولوجي درجة جعلتها ـ ولو إلى حين ـ تستطيع أن تقيم نهضة مادية بهرت الناس في أكثر الأحيان.

ومن هنا نقول: إنّ هذا الغرب الذي تخلّى عن الدين وقيمه المعنوية والروحية، ليس ببعيد عنه أن يمارس الإرهاب والعنف والتخويف والظلم ضدّ الآخرين، فها هي شعوب العالم ـ وخصوصاً الشعوب الإسلامية ـ تضطهد تحت ظلم هذا الفكر الإلحادي، وتعيش أنكد الأزمات، ولازال القتل يفتك بالمسلمين في كلّ أنحاء العالم ابتداءً من فلسطين وقصّتها إلى آخر المجازر في البلاد الإسلامية. فها هي ميانمار

يعاني فيها المسلمون القتل والذبح والتشريد والتجويع أمام مرأى ومسمع العالم ومنظمات حقوق الإنسان المزيفة.

وإذا كانت بعض الاتجاهات المنحرفة والفتاوى المأجورة في المجتمع الإسلامي تؤمن بالترهيب والدموية وممارسة ثقافة الموت وهجر الحياة، فإنّ هذا ممّا يبرأ منه الإسلام، فإنّ الإسلام قد تعرّض في تاريخه إلى التشويه والتحريف في عقائده ومبادئه لصالح السياسة والحكومات الجائرة والظالمة كما هو واضح.

التساؤل الثالث

المثلية الجنسية أمر شائع في بعض أفراد الطبيعة الحيوانية، وتمارسه بعض الكائنات الدقيقة، وفي أفراد البشر من يميل إلى ذلك وليس لديه رغبة في الجنس المختلف، فما هي وظيفته؟

الجواب: أنّ المثلية الجنسية انحراف عن الطبيعة البشرية التي أودعها الله تعالى في الإنسان؛ لأنّ تلك الطبيعة تقوم على الاعتدال والفطرة الإلهية البيضاء، التي هي مصدر القيم الأخلاقية والسلوك، ولا يمكن لتلك الفطرة أن تقبل بمثل هذه الممارسة الجنسية الشاذة والقبيحة.

نعم، قد تتعرّض هذه الفطرة الناصعة والهبة الإلهية التي طبعت عليها روح الإنسان ونفسه للتلوث والانتكاسة والدمار، وليس ذلك بغريب مادام الإنسان يولد وكأنّه صفحة بيضاء قابلة لكلّ ما يكتب عليها من العوامل التي توجب انحراف الإنسان عن الطبيعة البشرية والفطرة الإلهية العظيمة، ومن تلك العوامل الخضوع للشهوات واللذائذ التي تنزلق بالإنسان نحو البهيمية والحيوانية.

إنّ ما نلاحظه اليوم في الغرب من المناداة بتشريع الزواج المثلي

وتقنينه في الدساتير الغربية لأمر يدلل بوضوح على مسيرة هذه الحضارة المادية التي قامت على إنكار وجود القيم والمثل الأخلاقية والتبري من الدين والمقدسات وعن كلّ شيء يرمز إلى الله في حياة الإنسان، فأطلقت العنان لباب الشهوات والرغبات، وأصبح الإنسان يقترب شيئاً فشيئاً من الحيوان الذي لا يفهم ولا يعقل وإنّما يمارس ما يريد بوحي من الشهوة والغريزة.

على أنّ الحيوانات والكائنات الأخرى لم يشاهد فيها ما يدلّ على إلغاء نظام الزوجية وتركيب الذكر والأنثى، والقرآن يحدثنا عن هذا النظام الإلهي العام في تكوين الوجود وخلقه، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1].

(١) الذاريات: ٤٩.

التساؤل الرابع

ما هي شروط الهجرة من البلدان؟ ومتى تجب على المسلم؟ وكيف يحمي المؤمن دينه وإيمانه فيما لو حل في بيئة غير مسلمة؟

الجواب: للإنسان علاقة بوطنه ومرابع صباه التي نشأ وترعرع فيها، وهذه العلاقة من أبرز العلاقات والعواطف الإنسانية الصادقة التي تربط الإنسان بوطنه وبلاده، حيث تمتزج هذه العلاقة مع مجموعة وشائج إنسانية واجتماعية وعاطفية تربط الإنسان بأترابه وأرضه ومجتمعه والفتية التي ينتمي إليها، من هنا كان من الصعب على الإنسان أن يفرّط ببلاده ووطنه مهما قاسى من ظروف صعبة. ولا يتعارض هذا الحبّ أو الولاء أو التعلّق الشديد للإنسان بأرضه وترابه مع العقيدة والمبادئ الدينية مادام لا يتعارض مع الدين والمعتقد. ولقد ورد عنه صلى الله عليه وآله: «حبّ الوطن من الإيمان»[1].

لكن رغم ذلك نجد الإسلام قد أمر بالهجرة والمهاجرة من البلاد

---

(١) ميزان الحكمة ٤: ٣٥٦٦.

التي يتعرض الإنسان فيها إلى الاضطهاد والقمع والترهيب والتخويف؛ خصوصاً إذا كان الاضطهاد ضدّ العقيدة الدينية الحقّة التي يؤمن بها، فالبلد الذي لا يستطيع المسلم فيه من إقامة شعائر الله، وترسيخ الحدود الشرعية، هو بلد ليس محبباً للإقامة والعيش فيه.

وعند الرجوع إلى النصّ القرآني الذي يشرّع أسلوب الهجرة للدفاع عن العقيدة واحتفاظ الإنسان بمبادئه نلاحظ أنّه يؤكّد على استضعاف المبادئ. والاستضعاف مأخوذ من الضعف، وهو الضعف الاجتماعي والسياسي والعسكري؛ حيث لا يستطيع الإنسان ممارسة شعائر الدين، أو الدفاع عن عقيدته.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾[1].

جزاء المهاجر في سبيل الله

وليست ظروف الهجرة بيسيرة ولا سهلة، فالمهاجر غالباً ما يتعرّض للأذى والصعوبات والعقبات الشديدة، وأهمّها الرزق، والاندماج مع المجتمع الجديد؛ حيث يعش المهاجر الغربة والتغرّب عن وطنه، وكل

(١) النساء: ٩٧.

هذه تحتاج إلى جهد وطاقة؛ لذا لم يغفل القرآن الكريم أن يبيّن جزاء المهاجرين من أجل العقيدة والدين، فذكر أولاً بأنّ الهجرة سبب لزيادة الرزق، فقال في كتابه الكريم: ﴿**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً**﴾[1].

وأعطى ثانياً ميزةً للمهاجرين في سبيل الدين والعقيدة والمذهب الحق فيما لو مات المهاجر في طريق هجرته فيقع أجره على الله: ﴿**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾[2].

خطر السقوط والتعرّب

ورغم دعوة القرآن والسنّة إلى الهجرة ومغادرة البلاد الظالمة والوطن الذي يمارس فيه الإرهاب والتخويف، إلا أنّ القرآن الكريم يحذّرنا من خطر التعرّب بعد الهجرة.

والتعرّب: هو فقدان حالة الوعي الديني والالتزام الشرعي والأخلاقي الذي يأمر به الدين إثر تأثيرات البيئة الجديدة على الإنسان، فيغدو المسلم ـ بعد رحلته في سبيل الله والفرار بدينه ـ كالأعرابي الذي يعيش

(١) النساء: ١٠٠.

(٢) النساء: ١٠٠.

بعيداً عن مركز الوعي والدين ولا يملك أية علاقة بالدين وأحكام الشريعة. وخطر التعرّب يشمل كلّ إنسان بعيد عن الثقافة الدينية والشرعية.

يقول الإمام عليه السلام: «تفقهوا في الدين ولا تكونوا أعراباً»[١].

فالهجرة إذا كانت بدافع ديني، مع احتفاظ الإنسان بالسلامة الفكرية والعقائدية، واحتفاظه بقيمه وآدابه الإسلامية فهي هجرة مشروعة ومستحبة، قال صلى الله عليه وآله: «مَن فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنّة، وكان رفيق أبيه إبراهيم عليه السلام ونبيه محمّد صلى الله عليه وآله»[٢].

(١) الكافي ١: ٣١.

(٢) ميزان الحكمة ٤: ٣٤٣١.

التساؤل الخامس

يعتبر الدين في المجتمعات الإسلامية سببا للتباغض والتنافر والصراع، بينما نجد العلمانية في البلدان الغربية قد حققت قيم العدالة والمساواة والحرية، وذلك عندما أبعدت تلك المجتمعات الدين عن ساحة السياسة وحياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية؟

الجواب: هذا التساؤل يشير بشكل صريح إلى النظرية العلمانية التي أضحت المنهج في حياة الإنسان المعاصرة وقيادة الدولة بشكل عامّ.

والمبادئ التي أشير إليها في التساؤل هي من أشرف المبادئ الإنسانية والدينية، لذا أكدت عليها النصوص الدينية، فالقرآن الكريم يشير بوضوح إلى هذه المبادئ والقيم التي تتحقق من خلالها السعادة والخير للبشرية جمعاء.

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم مشيراً إلى العدل والمساواة: ﴿**قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ**

﴿بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾[١].

فالآية الكريمة تصرّح بشكل واضح بأنّ الغاية من بعثة الأنبياء وإرسال الرسل وبالتالي تشريع الأحكام والقوانين الإلهية، ما هو إلا لأجل إقامة العدالة وإقرار الحقوق ورفع الحيف والظلم عن بني البشر، وتلك أعظم النعم والهبات الإلهية للإنسان، فلا يمكن لدين أو رسالة إلهية أن تشرّع للظلم وتمارس عملية التمييز و التفرقة بين قومية وأخرى وبين أمّة وأخرى، فالدين لا يمكن أن يدعو لظلم المجتمعات أو نهب الثروات. وإذا كانت هناك بعض التشريعات يلاحظ فيها التمييز أو الإجحاف أو التقصير في الحقوق الإنسانية من قريب أو بعيد، أو معارضتها لقانون العدل والإنصاف والمساواة، فهي تشريعات محرّفة وباطلة؛ لأنّ العدل والإنصاف هو الأصل الأول الذي تتكأ عليه التشريعات السماوية والإلهية.

نعم، مشكلة البعض أنّه لا يريد التمييز والتفريق بين الدين الذي هو المنهج الإلهي الذي يمتلك مجموعة من النصوص القرآنية والنبوية الصريحة بدعوتها لعموم البشرية والإنسانية برفض الظلم والطغيان، وبين الأفكار المنتسبة إلى الإسلاميين لكنّها أفكار غير إسلامية ولا تمثّل ما جاء به نبي الإسلام، فيحمل تلك التصرّفات والأفكار المنحرفة والضالة

١ ـ الحديد: ٢٥.

على الدين الإلهي والمنهج الإسلامي.

إنّ مثل هذه العناصر لا تريد للدين أن يعمّ في أوساط المجتمعات؛ لذا تقوم على خلط الأوراق والأفكار بين الدين والمتدينين، وبين الإسلام وفكر الإسلاميين، والمقصود من هذا المنهج هو إشاعة العداء والرفض للتمسّك بالقيم والمبادئ الدينية الحنيفة، والارتماء في أحضان الإلحاد والكفر والزندقة والانحطاط الأخلاقي.

إنّ الأديان الإلهية السماوية بأجمعها تمثّل العدل، وتدعو إلى السماواة، لكنّ حركة التحريف والتزييف والتضليل التي يقودها أعداء الدين من الداخل هي التي تقود نحو الفساد والخراب والدمار.

الدين منطلق العدالة والسلام البشري

ابتدأ الله سبحانه وتعالى عباده بالنعم، وبما أنّ هذه النعم تحتاج إلى تقنين في استعمالها، ونظم وشرائط لنيل نتائجها المرجوة، لذا فإنّها تحتاج إلى قيادة تقوم بمباشرتها والإشراف عليها وإعطاء التوجيهات الإلهية بشأنها، وهؤلاء القادة يجب أن يكونوا قادة إلهيين؛ لذا تشير الآية إلى هذا المعنى، وتبيّن هدف إرسال الرسل والأنبياء ومناهجهم بصورة دقيقة، فيقول سبحانه: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ**

﴿الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾[١].

والبينات هي الدلائل الواضحة، ولها معنًى واسع يشمل المعجزات والدلائل العقلية التي تسلّح بها الأنبياء والرسل. والمقصود من (الكتاب) هو الكتب السماوية نفسها؛ ولأنّ روح وحقيقة الجميع شيء واحد، جاء التعبير بـ(الكتاب) بصيغة المفرد.

والميزان هو وسيلة للوزن والقياس، ومصداقها الحسّي هو الميزان الذي يقاس به وزن البضائع، ومن الواضح أنّ المقصود هو المصداق المعنوي، أي الأداة أو الشيء الذي نستطيع أن نقيس به أعمال الإنسان، وهي الأحكام والقوانين الإلهية، أو الأفكار والمفاهيم الربّانية.

ومن خلال ذلك يتضح أنّ الأنبياء كانوا مسلّحين بثلاث وسائل، وهي: الدلائل الواضحة، والكتب السماوية، ومعيار الحقّ من الباطل، أو الجيد من الردئ. ولا مانع من كون القرآن بينة، أي معجزة، وهو كذلك كتاب سماوي مبيّن للأحكام والقوانين.

إذن هذه الأبعاد الثلاثة تصبّ في محتوًى واحد، وهي موجودة في القرآن الكريم.

وعلى كل حال، فإنّ الهدف من تعبئة هؤلاء الرجال العظام ـ الأنبياء ـ بهذه الأسلحة الأساسية، هو إقامة القسط والعدل.

---

(١) الحديد: ٢٥.

ومن أهداف بعث الأنبياء:

١ـ التعليم والتربية، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[١].

٢ـ كسر الأغلال والقيود التي أسّرت الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[٢]، فالآية تشير إلى عملية التربية والتهذيب الاجتماعي والروحي.

٣ـ إكمال القيم الأخلاقية، جاء في الحديث المشهور: «إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[٣].

٤ـ إقامة القسط والعدل، وهذا ما أشارت له الآية السابقة.

وبهذا الترتيب نستطيع تلخيص بعثة الأنبياء في الأهداف التالية: الثقافة، الأخلاق، السياسة، الاجتماع.

والمقصود من الرسل في الآية المتقدمة ـ وبقرينة إنزال الكتب ـ هم الأنبياء أولي العزم ومَن يمثّلهم.

وممّا يجدر ذكره أنّ المقصود من التعبير القرآني: ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ هو تحرك الناس أنفسهم لتحقيق القسط، وليس المقصود أن

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) بحار الأنوار ١٦: ٢١٠.

يلزم الأنبياء على إقامة القسط، ولهذا يمكن القول بأنّ المراد من الآية وهدفها هو عمل الناس بمفاهيم القسط وحركتهم لتطبيقها. والمهم في ذلك أن يتربّى الناس على العدل والقسط حتى يصبحوا واعين له داعين إليه، منفذين لبرامجه، سائرين في هذا الاتجاه بأنفسهم.

ثم إنّ أي مجتمع إنساني مهما كان مستواه الأخلاقي والاجتماعي والعقائدي والروحي عالياً، فإنّ ذلك لا يمنع من وجود أشخاص يسلكون طريق العتو والطغيان، ويقفون في طريق القسط والعدل.

ونحن نعتقد ونؤمن بأنّ الدين اليهودي الذي نزل على موسى عليه السلام، والدين المسيحي الذي نزل على عيسى عليه السلام لا يمكن أن يدعيا إلى الظلم أو الإفساد أو الطغيان، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً والَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى أن أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِليه الله يَجْتَبِي إليه مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي إليه مَنْ يُنِيبُ**﴾[1].

فهذه هي رسالة الدين ورسالة الوحي الإلهية في جميع الأديان السماوية.

ولكن الدين الآن يعاني التشويه والتحريف، ولقد مرّ بنا أنّ سبب بروز العلمانية وتيار الإلحاد في الغرب والمنادة بفصل الدين عن الدولة هو ما قامت به الكنيسة والطبقة المضللة من نهب الثروات والاستبداد وإشاعة

(١) الشورى: ١٣.

الخرافة باسم الدين، حتى انقطع الفكر الديني المسيحي عن مواكبة التطوّرات العلمية والبشرية، وبالتالي ظهر عجزه في تلبية متطلبات الحاجة البشرية المتنامية في البعد الثقافي والاجتماعي والسياسي، فأصبح الدين الرسمي يمثّل عبئاً وعائقاً أمام التطور والنمو العلمي والإنساني المتزايد.

وإلى جنب هذا مارست الكنيسة الحرب الشعواء ضدّ طلاب الحرية والعدالة والتيارات المنادية بالمساواة وتوزيع الثروات بين أبناء المجتمع.

أمّا قيمة الحرية والتحرّر فهي من أهم القيم والمبادئ التي دعت إليها الأديان الإلهية المقدّسة، فالدين لا يتعارض مع حرّية الإنسان، ولا يقف أمام وصوله إلى الانعتاق من الظلم والطغيان والاستبداد بكل صوره الاجتماعية والسياسية.

وعند الرجوع إلى النصوص الدينية نجد أنّ الإسلام دعا إلى تحرّر الإنسان عقلياً وفكرياً، فضلاً عن التحرّر من قيود العادات والتقاليد الاجتماعية التي تقوم على النيل من كرامة الإسلام وابتزاز الإنسان في كيانه ومبادئه.

وخلاصة القول في كلّ هذه الإشكالية هي وجود أمرين هامين، وهما:

أولاً: أنّ التخلّص من الدين والانعتاق منه باعتباره مصدراً للتتمييز والتفرقة والظلم؛ كان بسبب انحراف الكنيسة عن الدين الحقيقي، والمسيحية ـ كدين إلهي ـ لا تمثل النظام المتكامل الذي أراده الله تعالى

لقيادة البشرية في كل الأزمان، بل إنّه دين مثل دوراً من أدوار الرسالة الإلهية والتي ختمت بالدين الإلهي المتكامل فكراً وتنظيماً وتشريعاً وهو الإسلام: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فإن اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

ثانياً: أنّ العلمانية التي يدّعى تحقيقها لمثل هذه المبادئ الإنسانية العظيمة أضحت اليوم مصدراً للمآسي والكوارث الإنسانية الفادحة، فالبشرية اليوم ـ بسبب الابتعاد عن الدين ورفض الإيمان بالغيب والاتجاه نحو المادة واللذة الحسيّة ـ أصبحت خاوية وخالية من الداخل، يعاني إنسانها الأزمات الروحية والعاطفية والإنسانية.

لقد أصيب النظام الاجتماعي الإنساني بأخطر الأمراض والأوبئة الأخلاقية الاجتماعية، والسبب في ذلك أنّ التطور العلمي الذي أوجده الإنسان بعيداً عن الأهداف والمثل الدينية والأخلاقية هو الذي قاده إلى تغيير اللبنات الأصيلة لتماسك الوجود الاجتماعي، فعملية الاستنساخ وتلقيح الإناث وغيرها أفقد البعض الحاجة إلى الأب، فأصبح بالإمكان تشكيل أسرة دون أب يعرف، وباستطاعة الأب أن يكون له أولاد من أمّ ليس له علاقة زواج بها، فالعلم الذي أريد له أن يكون بخدمة الإنسان

---

١ ـ المائدة: ٣.

وتأمين حاجاته أصبح اليوم مصدراً رئيساً لمحن الإنسان ومآسيه.

ولسنا ضدّ العلم والتطور، بل نريد الإشارة إلى هذا العلم الذي أريد له أن يحلّ محلّ الدين والسماء بما أنّه فاقد للمثل الدينية والقيم السماوية أصبح يشكل ضرراً كبيراً على حياة المجتمع كما هو واضح.

ومع كل هذا نشاهد الآن ـ وللأسف الشديد ـ مَن ينادي في مجتمعاتنا بإلغاء الدين وحذفه من الواقع الاجتماعي والسياسي من حياة المسلمين.

ويعتبر البعض الإسلام مصدر القلق والاضطراب والتمزّق في كيان الأمّة العربية والإسلامية، فيدعو إلى الارتماء في أحضان الغرب فكرياً وثقافياً؛ لأنّ الغرب هو النموذج الإنساني المتطوّر والحضاري حسب تصوره، وقد وصل الغرب إلى ذلك عندما تجرّد من الدين.

ولا بد من القول بأنّ رواج هذا التيار وتنامي هذه الفكرة برأينا يعود لسببين:

الأول: أنّ الفكر الديني عندنا هو فكر محرّف ومضلل للأمّة، فهو سبب نمو العداء للدين المحمدي، فثقافة الدين الأصلية عوضت بثقافة جاهلية وتعصبية أصبغت بلون الدين.

الثاني: أنّ الأمّة تعاني من فقدان الثقة بحضارتها، فلذلك تعيش الأمّة العربية حالة الموت الحضاري، الذي من مظاهره الموت الفكري، والموت الثقافي، والموت النفسي والروحي، ويتمثّل بحالة اليأس من

حالة التجديد والتبدل نحو الأحسن. من هنا نرى أصوات الاغتراب والتغرّب تتنامى، وغير خفي الآن على أحد مدى التقليد الاجتماعي الذي نجاري به الغرب.

التساؤل السادس

ما هو دليل الحجاب؟ وهل يمكن طرح فهم جديد له؛ خاصة مع التطور والتبدل الكبيرين في الحياة الإنسانية، واختلاف الزمان والمكان عن عصر التشريع؟

الجواب: الحجاب من التشريعات الإلهية الثابتة والدائمة، وهي لا تمثل حالة طارئة أو عابرة في الفقه الإسلامي؛ لأنّ التكليف بالحجاب على حدّ التكليف بسائر الفروع الدينية الأخرى كالصلاة والصوم والحج وغيرها؛ إذ لا يمكن حذف أو إلغاء فريضة من هذه الفرائض مهما تطوّر الإنسان والوسائل المحيطة به، فإنّ فريضة الصوم تتحد بالإمساك من الفجر إلى غروب الشمس، وهي ثابتة على مرّ العصور لا تتغير ولا تتبدل مهما اختلفت الأزمان والأماكن، وهكذا هو الحجاب لا يمكن أن يتبدّل أو يتغيّر.

والموجة الآن هي عكس ما تدعو إليه فكرة الحجاب، فالدعوة الحديثة إلى التعرّي ونزع الأستار والخمور لنيل المرأة حريتها وركوبها سفينة التطوّر والحداثة والموديل هي السائدة؛ لأنّ هناك من يروّج

ويحثّ على مثل هذه الأفكار.

ويمكن أن نلاحظ في فكرة الحجاب شيئين مهمين:

أولاً: حفظ كيان المرأة من الابتزاز والملاحقة والإزعاج من قبل الرجال.

ثانياً: تغذية الشعور الداخلي وذلك بالتحجّب الروحي عن المعاصي والآثام، والالتزام بالطهارة الروحية والمعنوية.

وليس المرأة هي المأمورة بالتحجّب فقط ليكون ذلك التشريع تمييزاً ضدّها، وإنّما الرجل كذلك قد كلّف بالامتناع والتحاشي عن النظر إلى جسدها ومفاتنها، فهو من هذه الناحية ممنوع أيضاً ومحجب عن النظر، وهذا لا يعدّ تحجيماً أو تقليصاً لحريته وإجالة نظره، وإنّما هو التزام أخلاقي وديني يحفظ لكلّ من الرجل والمرأة حقّه وحدوده في تحرير حركاته وتصرفاته تجاه المجتمع والآخرين.

ولا يتوهّم البعض من أنّ الحجاب هو ختم ملكية المرأة للرجل، فإنّ المرأة والرجل من الناحية الإنسانية سواء، لم يخلق أحدهما ليملك الآخر، بل خلقا ليتمم أحدهما الآخر ويكمله، ولكل منهما جانب مشترك مع الآخر وجانب منفرد؛ فالرجل إنسان وذكر، والمرأة كذلك إنسان ولكنّها أنثى، وكلّ منهما بوصفه الأول ـ الإنسانية ـ يسمح له بالمشاركة في خدمة المجتمع على أن يظهر كذلك في مجال الخدمة.

إذن فعدم تظاهر المرأة بأنوثتها وإبراز مفاتنها وتعرية جسدها لا يؤخذ دليلاً على أنّ الإسلام أراد أن يحجبها عن المجتمع؛ لأنّها عندما

تتصل بالمجتمع تتصل به لحساب كونها إنسان، فكما هو الحال في الرجل عندما يريد أن يثبت إنسانيته في الوجود، للمرأة أيضاً أن تثبت وجودها الإنساني، حالها في ذلك حال الرجل.

نعم، في النواحي التي يتحتّم على المرأة التستر فيها يتحتم على الرجل كذلك التستر بغض بصره، وكما أنّ المرأة لا يمكن لها أن تتظاهر بأنوثتها وبكونها الجنس الناعم عن طريق الخلاعة والتبرّج، كذلك لا يمكن للرجل أن يتظاهر برجولته وذكورته، ولا يمكن له أن يعيش في المجتمع الواسع إلا كإنسان، والمرأة كذلك لا يمكن لها أن تعيش في المجتمع الواسع إلا كإنسانة، وفي المواطن التي يظهر فيها الرجل كرجل علاوة على كونه إنساناً يمكن للمرأة ـ بل يجب عليها ـ أن تظهر بمظهر الأنثى علاوة على كونها إنسانة، وذلك عندما تحكمهما العلاقة الشرعية.

وبما أنّ جاذبية المرأة وسحرها أقوى وأشدّ تأثيراً من جاذبية الرجل وسحره، كان حجابها أوسع وأشمل من حجاب الرجل. فالمرأة التي تظهر في المجتمع بمظهر الإنسانة بدون إشارات وهوامش تشير إلى أنوثتها، تكون مساوية للرجل، على العكس تماماً من المرأة الغربية التي هي حرّة في تصرفاتها وفي كل شيء كما يدّعي الغربيون، لكنّها في الواقع مقيّدة بإرضاء الرجل ـ أي رجل كان ـ وإشباع رغباته؛ إذ فرض عليها تظاهرها بأنوثتها باسم الحرية على ما يتطلب ذلك من تعب وجهد،

وعلى ما يستنفد من وقتها، فهل من الإنسانية أن تكون المرأة سلعة تعرض لعيون الرجال المتعطشة[١]؟

وهنا يأتي دور التشريع الإسلامي ليربّي المجتمع المؤمن على الالتزام بهذا الأدب الإلهي الذي يحفظ حرمة المرأة وقيمتها، يقول القرآن الكريم: ﴿**قلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ أن اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ*وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أو آبَائِهِنَّ أو آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أو أَبْنَائِهِنَّ أو أَبناءً بُعُولَتِهِنَّ أو إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أو نِسَائِهِنَّ أو مَا مَلَكَتْ إيمانهُنَّ أو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إلى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٢].

والحجاب الشرعي هو كما يقول السيد الخوئي رحمه الله: (يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه والكفين عن غير الزوج والمحارم، بل يجب عليها ستر الوجه والكفين عن غير الزوج حتى المحارم مع تلذذه،

(١) المرأة مع النبي صلى الله عليه وآله في حياته وتشريعه: ٨٧.
(٢) النور: ٣٠ـ ٣١.

بل عن غير المحارم مطلقاً على الأحوط. ولا يجب على الرجل الستر)[1].

هذا هو رأي السيد الخوئي رحمه الله في الحجاب، مع أنّه يوجد خلاف في وجوب ستر الوجه واستعمال الخمار المغطي له، وكذلك في ستر ظاهر القديمين. نعم، ليس في الحجاب الشرعي تقييد بلباس أو نوع خاصّ من الألبسة كالعباءة العربية أو غيرها.

هذا هو المجال المتحرّك في الحجاب، أمّا تحديده شرعاً فهو ممّا لا يتغير ولا يتبدل مطلقاً.

(١) منهاج الصالحين ٢: ٢٦٠.

التساؤل السابع

لماذا التركيز في حياة الإمام الحسن على نقطتين دون سواهما:

الأولى: كرمه وجوده.

الثانية: صلحه مع معاوية؟

الجواب: لا تقتصر حياة الإمام الحسن عليه السلام على هذين البعدين فقط؛ لأنّ منصب الإمامة حسب النظرية الشيعية المستندة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة هو أكبر من أن يختزل بهاتين النقطتين من حياة الإمام المعصوم عليه السلام، لاسيما الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الذي كان شاهداً على عصر الرسالة وعصر الخلافة معاً، فرأى التصدّع والشقاق في جسم الأمّة الإسلامية وهويتها العقائدية والدينية. وليست شهادة الإمام المجتبى عليه السلام كشهادة غيره من الصحابة والمسلمين، وهذا واضح جدّاً؛ فالإمام هو سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو من البيت النبوي المطهّر.

أمّا التركيز على هاتين النقطتين في حياة الإمام عليه السلام فهي لأسباب موضوعية وواقعية، فقضية الكرم تمثّل الحالة المشهورة والمعروفة لدى المسلمين والسمة الشخصية للإمام عليه السلام، ولا شك عندنا أنّ أئمّة أهل

البيت عليهم السلام كلهم يحملون صفة الكرم والجود والعطاء، وكرمهم ليس له حدود؛ لأنّه من العطاء الإلهي والهبات الربّانية لأهل البيت عليهم السلام، إلا أنّ ذلك لا يمنع أن تكون شخصية الإمام المجتبى قد ظهرت فيها هذه الصفة الإنسانية بشكل أجلى وأوضح، وقد عرف الأئمّة عليهم السلام بالصفات والمحامد التي فاقوا بها الناس في جميع الأعصار، فالإمام علي بن الحسين يعرف بالسجاد، وابنه محمد عُرف بالباقر، وابنه جعفر عرف بالصادق، وابنه موسى عرف بالكاظم، وهكذا.

أمّا النقطة الأخرى وهي صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، فهو يمثّل الحدث الأبرز في حياة الإمام السياسية والاجتماعية.

وإذا كان البعض يسمّي ذلك العامّ بعام الجماعة والصلح ويعدّه صلحاً للأمّة الإسلامية بأجمعها، فهذا معناه أنّ ذلك المشروع الأموي قد تحول إلى مشروع الأمّة الإسلامية بأسرها. لكنّنا نرى أنّ ذلك المشروع الذي دبّره معاوية ما كان إلا تهديماً وتمزيقاً للأمّة الإسلامية وإمعاناً في انحرافها وضلالها وتيهها عن القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عدل القرآن الكريم.

ولا شكّ أنّ المشروع الأموي هو أخطر المشاريع، وها هو ابن آكلة الأكباد يخطب بالمسلمين في الكوفة، فيقول: «ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك. إنّما قاتلتكم

لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»[١].

فهو مشروع ضدّ الصلاة والصوم والحجّ وسائر واجبات أركان الشريعة الإسلامية وقيمها ومبادئها، وما كان ذلك الصلح إلا حقناً لدماء المؤمنين وتخليصهم من قبضة السفك الأموي، ولتتمّ الحجّة به على الأمّة الإسلامية التي رضيت أن تستبدل ابن رسول الله بابن الطليق ابن الطليق، وتخضع لكسروية أموية بغيضة.

ظروف وملابسات حياة الأئمة عليهم السلام

إنّ الأئمة عليهم السلام لم يمكّنوا من القيام بكل وظائفهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ومن هذه الوظائف الولاية العامّة على الأمّة والمرجعية العليا للرسالة، وحفظها من البدع والتحريف، ودرء الريب، ومواكبة تطوّر البشرية وحاجاتها بالرسالة الخاتمة بما حمّلها الله تعالى من خطط وبرامج تقوم بتلبية تلك الحاجات إلى يوم الدين.

وحينما تعطّلت بعض وظائف الأئمّة بمعصية الأمّة لهم ـ كوظيفة الحاكمية ـ وأنكرت الأمّة مرجعيتهم، فإنّهم مارسوا المرجعية العليا للرسالة والولاية على مَن عرف حقيقتهم، فرسّخوا الخطّ السليم الذي يمثّل أصالة الرسالة في نفوسهم، ولم يكن من الحكمة أن يجبروا عموم

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٥٣.

المسلمين على الخضوع لمرجعيتهم بما أتاحه الله تعالى لهم من قوى غيبية، بل هذا يحتاج إلى هداية وقناعة وجهاد من المؤمنين لترسيخ الرسالة في مجتمعاتهم بكلّ معطياتها.

وإنّ عدم توفّر الناصر للإمام، يعني عدم إحراز الأمّة لاستحقاق هذه الهداية في تلك المرحلة، فلا معنى لفرض الحقّ بالقوى الغيبية حينئذٍ. ولم تكن حرب النبيﷺ للمشركين إلا لأنّهم مشركون وقد حاربوه واعتدوا على المسلمين، وكان ذلك بعد توفّر الناصر الذي يدلّ على استعداد جسم الأمّة لحمل الأمانة، ولم نجده حارب مانعي الزكاة من المسلمين رغم قدرته عليهم، فالأمر مع المسلمين بحاجة إلى أساليب أخرى، والله أعلم برسالته.

ولم يكن الحسينعليه السلام طالباً للحكم حين قام على يزيد، بل كان يريد إنقاذ الإسلام والمسلمين بعد أن وصلت الأمور بهم إلى شفا جرف الردّة على يد حزب الطلقاء والمطرودين والمؤلّفة قلوبهم من بني أمية وقريش، وبعد توفر الناصر. لكنّه حين خذل فرض عليه ظرف الأمّة التضحية وعدم الاستسلام، وقد كان عالماً بأنّ القتل المفروض عليه سيكون سبباً في تقويض دعائم الظالمين، وتحقيق ما قام لأجله من إحياء الدين، الأمر الذي يختلف تماماً عن ظرف الإمام الحسنعليه السلام الذي كان له أن ينتج موضوعياً آثاراً مختلفة فيما لو حلّ به وبذرية النبيﷺ كالذي حلّ بالحسينعليه السلام.

أمّا حرب أمير المؤمنين عليه السلام فكانت بعد توفر الناصر لضرب خطّ النفاق، وهذا لم يكن متوفراً حين حصول الانقلاب عليه بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، فلقد قاوم وقتها بالاحتجاج والموعظة، ولم يلجأ إلى القوّة، وباعتبار أنّ الظروف المحيطة اقتضت منه مرحلياً أن يعطي الفرصة لترسيخ الحد الأدنى من الإسلام؛ لكي يصبح ممكناً في المستقبل من تثبيت الصورة المتقدمة من الإيمان.

إنّ الإمام الحسن عليه السلام تطابق الظروف والشروط التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام الظروف التي عاشها الإمام علي عليه السلام، فكلاهما عاش ردحاً من الزمن جليس بيته، وكانت وظيفة كلّ منهما حماية الإسلام من التشويه والتحريف وصدّ الهجمات الجاهلية التي ظهرت بعد ارتحال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وتشكلت في إطار توجّهات سياسية وشخصيات تمتلك الزعامة في صفوف الصحابة، فكانا ـ عليهما السلام ـ يخوضا حرباً فكرية وعقائدية لبيان الفهم الإسلامي الصحيح، وتبيان فضائل أهل البيت عليهم السلام وزعامتهم العقائدية والفكرية للمسلمين.

نعم، ما أن وصلت الإمامة السياسية لأمير المؤمنين علي عليه السلام حين فضّلته الأمّة على كل مَن سواه بالإجماع، نشبت الحروب والفتن والاضطرابات، ولم تكن تلك المبايعة الجماهيرية لعلي عليه السلام طويلة الأمد؛ خصوصاً بعد دخول الخط الأموي متمثلاً بالطليق معاوية بن أبي

سفيان والعبث بمصالح الأمّة، واستخدامه الأساليب الرخيصة والخبيثة، وشراء الذمم والنفوس. وفي تلك الأجواء لم يكن مع عليعليه السلام إلا الخلّص من أصحابه؛ كمالك المسموم، وعمار الذي قتلته الفئة الباغية معاوية وأصحابه، وغيرهما ممّن محضوا في الولاء للإمامعليه السلام.

وبعد استشهادهعليه السلام لم يبقَ مع الإمام أبي محمّد الحسنعليه السلام إلا القليل من الشيعة والمخلصين وإن كان السواد عظيماً، ولذا سلّمه ذلك السواد إلى أعدائه وتفرّق عنه ذلك الجند والتحق بمعاوية.

وفي ظل تلك الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها إمامنا الإمام الحسنعليه السلام لم يكن جليس الدار بعيداً عن وظائف الإمامة وقيادة الأمّة وإنّما كان على وصال مع المسلمين ومستمراً في بيان الخطوط التشريعية والفكرية للإسلام الحنيف.

فهرست المحتويات

التساؤل الأول ٩

الإحاطة بالتخصص والموضوع ١٠

التساؤل الثاني ١٥

الغرب العلماني والإرهاب ٢٠

التساؤل الثالث ٢٥

التساؤل الرابع ٢٧

جزاء المهاجر في سبيل الله ٢٨

خطر السقوط والتعرب ٢٩

التساؤل الخامس ٣١

الدين منطلق العدالة والسلام البشري ٣٣

التساؤل السادس ٤١

التساؤل السابع ٤٧

ظروف وملابسات حياة الأئمة عليهم السلام ٤٩

فهرست المحتويات ٥٣